

(٢٢)

خرجت الملايين إلى الميادين
لكن رويترزأت أن العدد
لا يزيد عن الألف!

obeikandi.com

الجد والحفيد وباقي أفراد الأسرة نزلوا إلى ميدان التحرير للاحتفال مع الجموع الغفيرة.. ليس بفوز السيسي بمنصب الرئاسة لكن بعودة مصر إلى نفسها وإلى أهلها وإلى عروبتهما فقد انهالت برقيات التهاني سريعا من الأشقاء في الخليج السعودية.. الكويت.. الإمارات.. البحرين.. سلطنة عمان.. والأردن وسائر الدول الشقيقة وجاءت برقية أمير قطر يوم التنصيب لا تزيد كلماتها الرسمية عن ٣٠ كلمة وكان الرد ب ٢٠ فقط. ووسط الاحتفالات كانت أصداء كلمات المستشار أنور العاصي رئيس اللجنة العليا للانتخابات تدوى وتكشف الكثير من اسرار فوز السيسي ونزاهة العملية حيث قال: «تلتقى بكم اليوم والشعب يحقق الخطوة الثانية من خارطة الطريق»، مشيرا إلى أن الشعب اختار رئيسه، ولم يتبق سوى اختيار البرلمان، موضحا أن الدستور والقانون حددا الدور المنوط باللجنة العليا للانتخابات بمنتهى الاستقلالية، وأنها حرصت منذ البداية على التزام دقة قاعدة بيانات الناخبين، وابتعدت عن الرد على أى سلبيات قد تعطل عملها وكان الرد وفقا للقانون.

أوضح العاصي أنه لم يتقدم للترشح سوى المرشحين الرئاسيين وأوراقهما كانت سليمة، مشيرا إلى أن اللجنة رصدت مخالفة دعائية لكل مرشح وجرى حفظها لأنها لم تؤثر على الانتخابات. وأضاف أن اللجنة أكدت ضرورة أن يجرى الفرز أمام ممثلى المجتمع المدني والإعلام، مؤكدا أن زيادة عدد اللجان الانتخابية يفسر غياب وجود كثافات أمام اللجان. وحول أزمة تصويت الوافدين، قال العاصي إن وسائل الإعلام أساءت للجنة العليا للانتخابات فى التعامل مع تصويت الوافدين، موضحا أن اللجنة اختارت الطريق الآمن فيما يتعلق بمشكلة الوافدين لتحسين منصب الرئيس، منوها بأن قرار اللجنة العليا للانتخابات بمد التصويت فى الانتخابات الرئاسية يوما ثالثا، لم يكن عشوائيا، وإنما كان مدروسا، حيث شهدت البلاد موجة شديدة الحرارة مع يومى الانتخابات، أدت لتمديد يوم ثالث ليتمكن كل فرد من التصويت، وكى يعود الوافدون لمواطنهم، واتخذته اللجنة لصالح المواطنين دون أى شىء آخر، مؤكدا أن نسبة الحضور فى اليوم الثالث بلغت نحو عشرة فى المائة من إجمالى الحضور.

وقال الأمين العام للجنة العليا للانتخابات المستشار عبد العزيز سالم إن مصر بدأت تخطو نحو مستقبل حقيقى ديمقراطى، بدأ بانتخابات حرة نزيهة جرت تحت بصر العالم كله فى متابعة منظمات المجتمع المدنى الدولية والمحلية وهيئات دولية كثيرة منها الاتحاد

الأوروبي والأفريقي والكوميسا والبرلمان الأوربي واتحاد الساحل والصحراء وجامعة الدول العربية والبرلمان العربي والسفراء المعتمدون فى الداخل أو الخارج.. والتاريخ سوف يثبت أن هذه الانتخابات التى جرت فى مصر غير مسبوقة كان الحاكم فيها المعايير الدولية للاستقلال والنزاهة والتجرد والمهنية، مشيراً فى هذا الصدد إلى التقارير الأولية للمنظمات الدولية والمحلية والهيئات التى تابعت العملية الانتخابية.

وأضاف إن الشعب المصرى انتصر بإرادته وظهر للعالم أجمع المعدن الحقيقى له، وقال إن هؤلاء القضاة العظام هم جزء من الشعب المصرى، منوها بأن اللجنة الانتخابية منذ بداية عملها لا تعمل إلا وفق الدستور والقانون ولا تصدر من القرارات إلا ما يحق صالح مصر، وأكد أن اللجنة العليا للانتخابات لم تنحز إلى جانب دون الآخر، حتى أتمت عملها.

وسرعان ما تسربت الأنباء من داخل سجن "برج العرب" حيث يتم التخفظ على الرئيس المعزول محمد مرسى على ذمة قضايا عديدة أبرزها التخابر مع دول أجنبية وإفشاء أسرار الدولة العليا بما يمس الأمن القومى.. والهروب من سجن وادى النطرون وقالت التسريبات.. إن الرئيس المعزول أصابته حالة من الاكتئاب والهيلاج فى أعقاب علمه بنتائج الانتخابات الرئاسية، والفوز الكاسح للمشير عبد الفتاح السيسى.. حيث إن المعزول حاول أن يبدو متماسكا أمام مرافقيه عندما سمع ضجيجا وهتافات داخل السجن، وابتسم وهو يقول للضابط المعين لحراسته فى السجن: "السيسى عملها، وناوى يقضى على الجماعة"، «يقصد الإخوان»، ثم دخل فى نوبة صمت كبيرة.. وعندما سأله أحد الضباط عن رأيه فى فوز السيسى قال: "أكيد الانتخابات دى هتغير حاجات كثيرة، والعالم أكيد هيتعامل معاه كرئيس منتخب".. لكن المعزول لم ينس أن يبدو متماسكا، وهو يردد "٩٣%" كتير قوى. وفى وقت توالى فيه ردود الأفعال العالمية بعد فوز السيسى وقالت مجلة "التايم" الأمريكية إن أنصار السيسى خرجوا إلى الشوارع للاحتفال بفوزه الساحق فى نفس الميدان الذى شهد الثورة ضد مبارك.. وخرج منه مرسى يفتح صدره أمام الآلاف بعد توليه الرئاسة. وسلطت المجلة الضوء على مظاهر الاحتفال التى جمعت بين التلويح بالأعلام المصرية وملصقات السيسى والرقص والغناء.. فضلا عن ذلك، شهدت مدينة الإسكندرية وسلسلة مدن أخرى شمال العاصمة ومحافظة الفيوم احتفالات مماثلة.

وأرجع النقاد قلة الناخبين فى الانتخابات، إلى اللامبالاة حتى بين مؤيدى السيسى، لأنهم كانوا يعلمون أن فوزه كان أمرا مفروغا منه.

فيما رأت شبكة "دويتشه فيله" الألمانية، فى نسختها الصادرة بالإنجليزية، أن السيسى كان متوقعا أن يهزم بسهولة منافسه اليسارى "حمدين صباحى"، لافتة إلى أنه حقق انتصارا ساحقا فى الانتخابات الرئاسية.

وذكرت صحيفة "جولف نيوز" الإماراتية: أن أنظار العالم أجمع اتجهت صوب مصر، لتابعة العملية الانتخابية، ليس لتشكيكهم فيها، وإنما لأن النتائج ستكون لها تأثير على العديد من القضايا الإقليمية الأخرى فى كثير من البلدان العربية.

وشرح محللون أن تركيز القيادة الجديدة على الشئون الداخلية لن يمنع من وضع السياسة الخارجية فى مسارها الصحيح.

ومن جانبه أكد محمد عبد السلام - المدير الأكاديمى لمركز المستقبل للدراسات والبحوث المتقدمة فى "أبو ظبى" أن زيادة نسبة الإقبال والتصويت لصالح السيسى سيققل من وزن وثقل الجماعات الإسلامية فى المنطقة.

وأوضح إيساندر العمرانى، مدير مشروع شمال إفريقيا بمجموعة الأزمات الدولى، أن ما حدث فى مصر فى السنوات الثلاث الماضية، أحدث شرخا فى جميع أنحاء المنطقة، مما يشكل عواقب مهمة على العلاقات بين الدول التى أيدت الإخوان وتلك التى يدعمها الجيش.

وعلى الجانب الأخر، علق الكاتب البريطانى "روبرت فيسك" على سباق الانتخابات الرئاسية، قائلا "لو كنت مصريا لانتخبت السيسى".

وأضاف فيسك، فى مقاله فى صحيفة الإندبندنت البريطانية، أن مصر تشهد حاليا مرحلة تتويج الإمبراطور، مشيرا إلى أن الرئيس المقبل سيواجه العديد من التحديات الصعبة على صعيدى الأمن والاقتصاد.

وأعلن فيسك أن تأييده للسيسى، بسبب كونه ملاذًا للمصريين للتحرر من الديمقراطية الزائفة خلال فترة حكم مرسى، كما أن معظم دول الخليج تدعم السيسى بقوة مما يحول دون سقوط مصر فى أزمة مادية.

فضلا عن عدم استمرار دعمها للجيش المصرى من خلال تقديم المزيد من الضمانات.

واعتبر فيسك أن السيسي وحديثه عن مكافحة الإرهاب وضرورة إرساء الاستقرار لاقى قبولا لدى واشنطن.

واستمرارًا لردود الأفعال العالمية والدولية، أكد نائب رئيس شرطة دبي، الفريق "ضاحي خلفان"، أن قناة الجزيرة القطرية أصبح لونها أسود، بسبب فوز السيسي. كما أوضح أن فوز السيسي لكمة قوية للجزيرة، مشيرًا إلى أنه تم تجنيد القناة لتدمير مصر، ولكن الشعب المصري انتصر على المخطط الإخواني في المنطقة.

وليت الأمر توقف عند الجزيرة وتهوينها واستخفافها بهذا النجاح المدوي للسيسي.. لكن نفس اللعبة مارستها وكالات أنباء عالمية مثل رويترز التي نشرت تقريرًا من القاهرة بتوقيع ستيفن كاليه وماجى فيك وجاء فيه إن العملية الانتخابية جاءت أدنى مما كان متوقعًا لها مما أثار تساؤلات حول مدى التأييد الشعبى الفعلى الذى يتمتع به السيسي الذى يعتبره أنصاره بطلا يمكن أن يحقق لمصر الاستقرار السياسى والاقتصادى وهو كلام يكفى للرد عليه العودة إلى الأرقام التى أعلنتها اللجنة العليا للانتخابات.

وأشارت جولة لمراسلى رويترز فى عدد من اللجان الانتخابية خلال أيام التصويت الثلاثة إلى انخفاض الإقبال على التصويت. وربط البعض انخفاض نسبة الإقبال باللامبالاة السياسية من جانب البعض واعتراض آخرين على تولي شخص جديد من خلفية عسكرية رئاسة البلاد واستياء بين شباب ذوى ميول ليبرالية مما يرون أنه قمع للحريات إضافة إلى دعوة الإخوان المسلمين لمقاطعة الانتخابات.

وقال محمود إبراهيم (٢٥ عاما) الذى يسكن فى حى امبابة الشعبى "الانتخابات دى تمثيلية. مهزلة. التصويت ضعيف لكن الإعلام كذب على الناس. كل ده علشان رجل واحد." وانخفض المؤشر الرئيسى للبورصة ٢,٣ فى المئة أمس الأربعاء بعد أن رأى البعض أن نسبة التصويت مخيبة للأمال كما أغلق اليوم الخميس منخفضا ٣,٤٥ فى المئة بعد أن قال وزير المالية إن الحكومة وافقت على ضريبة نسبتها عشرة فى المائة على الأرباح الرأسمالية لسوق الأسهم. وفى السوق السوداء شهد الجنيه المصرى تراجعًا بسيطًا.

مجتمع الأعمال

لكن محمد السويدى رئيس اتحاد الصناعات المصرية قال إن مجتمع الأعمال سعيد جدا بالنتائج وأضاف "نحتاج إصلاحا حقيقيا وفرصا... رجلا لديه الشجاعة لاتخاذ قرارات. أنا وأصدقائى عندنا أمل كبير."

ويرى أنصار اليسى أنه الشخصية القوية التى يمكنها أن تضع نهاية للاضطرابات التى تجتاح مصر على مدى ثلاث سنوات منذ الانتفاضة التى أطاحت بحسنى مبارك عقب ٣٠ عاما قضاها فى الحكم.

لكن منتقديه يخشون أن يتحول اليسى إلى حاكم مستبد جديد يعمل على حماية مصالح المؤسسة العسكرية ويخمد الآمال فى الديمقراطية ويسىء إدارة الاقتصاد. ويتمتع اليسى بتأييد القوات المسلحة ووزارة الداخلية وكثير من الساسة ورجال أعمال ازدهر نشاطهم فى عهد مبارك ولايزالون يتمتعون بنفوذ قوى.

كما يحظى اليسى بتأييد السعودية والإمارات والكويت التى ترى فى جماعة الإخوان المسلمين خطرا عليها. وضخت الدول الثلاث مليارات الدولارات لمساعدة مصر على اجتياز الفترة الانتقالية والصمود اقتصاديا.

وقال محمد زلفة عضو مجلس الشورى السعودى "يمكن لمصر والسعودية أن تعملوا معا للتصدى للتهديدات سواء الداخلية مثل الإخوان المسلمين أو الخارجية مثل إيران وأنصارها فى المنطقة".

وأضاف "أعتقد أن السعوديين سيفعلون كل ما بوسعهم لدعم اليسى الآن بعد انتخابه لأن الشعب المصرى يؤيده".

إجراءات صعبة

التف كثير من المصريين حول اليسى بعد إعلان الجيش عزل مرسى الذى رأى أنه سعى خلال عام رئاسته لاحتكار السلطة وأنه أساء إدارة الاقتصاد.

لكن الإقبال على التصويت الذى جاء أقل من المتوقع أثار تكهنات بأن اليسى ربما لا يملك التفويض الشعبى الكافى الذى يمكنه من تنفيذ إجراءات صعبة مطلوبة لاستعادة النمو الاقتصادى العفى والحد من الفقر والبطالة وإنهاء دعم الطاقة المكلف.

وقال سايمون وليامز كبير الاقتصاديين فى بنك اتش.إس.بى.سى الشرق الأوسط "العمل الشاق يبدأ هنا. آخر ١٢ شهرا كانت عن (عزل) مرسى. والآن على النظام أن يحقق نتائج." وأحد الاختبارات الكبرى أمام اليسى مسألة دعم أسعار الطاقة التى تستنزف مليارات الدولارات من موازنة الدولة كل عام. وقد حث رجال أعمال اليسى على رفع أسعار الطاقة برغم أن ذلك قد يؤدى إلى احتجاجات وإلا فإنه سيجازف بمزيد من التدهور الاقتصادى.

وتنبأ تامر أبو بكر رئيس شركة مشرق للبترول بأن السيسي سيرجى أى قرارات جريئة في الأشهر القليلة الأولى من رئاسته برغم أنه وصفها بأنها حتمية. وقال أنجوس بلير رئيس سيجنت للتوقعات الاقتصادية "الكل يريد شكلا ما من أشكال الاستقرار حتى تستطيع أن تتخذ قراراتك الاستثمارية. عندما يكون هناك استقرار فإنه يجعل تقييم المخاطر أسهل كثيرا."

واحتفلت أغلب الصحف المصرية بنتيجة الانتخابات ووصفتها صحيفة الأخبار اليومية بأنها تمثل "يوم أمل لكل المصريين".

وانطلقت الألعاب النارية في سماء القاهرة بعد أن بدأت النتائج في الظهور ولوح أنصار السيسي بالأعلام المصرية وأطلقوا أبواق السيارات في الشوارع المزدحمة.

وتجمع نحو ١٠٠٠ شخص في ميدان التحرير رمز الانتفاضة الشعبية التي أطاحت بحكم مبارك عام ٢٠١١م.

وتجاهلت رويترز الآلاف التي خرجت في كافة محافظات مصر للاحتفال بفوز السيسي وقالت إن العدد الذي نزل التحرير كان في حدود الألف مواطن لا أكثر وهي مغالطة ترد عليها التسجيلات المصورة الموجودة في كافة القنوات إلا من تعاملت مع الحدث بعين عمياء لا ترى الحقيقة.. أو تتجاهلها.. عمدا مع سبق الإصرار والترصد.

واختلف الحال بعض الشيء في تقرير نشرته قناة "دوتشت فيلا" العربية على موقعها الإلكتروني من خلال بعثة المراقبين الأوربيين التي وصفت الانتخابات بالديمقراطية والسلمية والحرية حسب رئيس البعثة وعضو البرلمان الأوربي "روبرت جوبلز" وإن كانت البعثة قد اعترضت على تمديد التصويت ليوم ثالث وإن اعترفت بأنها خطوة قانونية لا غبار عليها وقال التقرير:

خطوة اللجنة العليا هذه تم اتخاذها برغم اعتراض المرشحين عبد الفتاح السيسي وحمدين صباحي عليها. وهي جاءت بعد الإقبال الضئيل على صناديق الاقتراع خلال اليومين الأولين، حيث أشارت أولى الأرقام إلى نسبة مشاركة لم تتعد ٣٧ بالمائة. وهو ما شكل مفاجئة كبيرة في صفوف مؤيدي المشير عبد الفتاح السيسي والذي كان يعد نجاحه مؤكدا.

ثقة عالية بالنفس!؟

السيسي وعد في الخطاب الذي أعلن فيه نيته الترشح لتقلد أعلى منصب في مصر، أن الانتخابات ستكون نزيهة وحرّة. كما أنه برر خطوته في الترشح بكونه يستجيب لمطالب

الشعب المصرى الذى خرجت جموع غفيرة منه إلى الشوارع لمطالبته بقيادة البلاد. هذه هى الصور التى كانت تظهرها أغلب وسائل الإعلام المصرية الأسابيع التى سبقت الانتخابات الرئاسية المصرية. الحديث كان يدور دائما حول تفويض قام به الشعب المصرى للمشير عبد الفتاح السيسى أن يصبح رئيسا للبلاد. بعض الإعلاميين أظهروا أن السيسى لا بديل له فى هذه المرحلة.

ربما تكون هذه الحملة الإعلامية والثقة العالية بالنفس هى التى أصبحت فى النهاية الفخ الذى وقع فيه أنصار السيسى عندما لاحظوا الإقبال الضعيف على صناديق الاقتراع. المشير عبد الفتاح السيسى خلال حملته الانتخابية لم ينزل ولو مرة واحدة لمقابلة مناصريه واكتفى عوضا عن ذلك بمخاطبتهم عبر وسائل الإعلام. اللقاءات التى عقدها كانت مع شخصيات تم اختيارها مسبقا، ومعروف عنها ولاءها له. كما أنه لم يقدم برنامجا انتخابيا إلا قبل أيام قليلة من بدء الاستحقاق الرئاسى. الإعلاميون والصحفيون المؤيدون للسيسى برروا ذلك أن الأخير لا يحتاج لبرنامج انتخابى، ليجعلوا منه، مرة أخرى، المرشح الذى لا بديل له. هذه التصرفات أيقظت لدى الكثيرين، حتى من كانوا يبذلون تعاطفا مع المشير السيسى، ذكريات تعود لحقبة ظنوا أنهم انتهوا منها مع ثورة الخامس والعشرين من يناير، ما جعلهم يعكفون عن التوجه إلى صناديق الاقتراع.

انعدام النزاهة فى الانتخابات،

قبل أسابيع من موعد الانتخابات بدا الفائز فيها واضحا للجميع. تكرار المفاجأة التى حققها المرشح حمدى صباحى فى الانتخابات السابقة، لم يعد يؤمن بها سوى مؤيدوه هذا الأخير وأعضاء حملته الانتخابية. أما الباقون، وإن كانوا متعاطفين معه قليلا، أو إن كانوا لا يرون فى السيسى المرشح المناسب، فقد اختاروا الاعتكاف، لاعتقادهم أن صوتهم لن يغير من مسار الأمور شيئا.

حظوظ السيسى فى النجاح لم تكن راجعة فقط لأعماله أو أقواله. فمؤيدوه يملكون طاقات كبيرة مكنتهم من دعم حملته سياسيا وماديا. أغلب اللافتات التى تظهر صور السيسى فى شوارع المدن المصرية، قام رجال أعمال أو تجار بنصبها. إضافة إلى الآلة الإعلامية التى أعطت مساحات كبيرة للدعاية للسيسى. فى حين اضطر صباحى إلى التجول فى مدن مصر ومطالبة المواطنين بمنحه الثقة. الدعاية للسيسى امتدت أيضا لتشمل فترة الاستحقاق،

حيث كان هناك فى العديد من المؤيدين يغنون ويهتفون له أمام مراكز الاقتراع ، وهو ما اعتبره المراقبون خرقا للصمت الانتخابى.

تراجع عن شعارات ٢٥ يناير.

دعوات المقاطعة للانتخابات جاءت من قبل جماعة الإخوان المسلمين الذين لازالوا يعيشون فى مرحلة ما قبل الثلاثين من يونيو ٢٠١٣م ومازالوا متشبهين برئيسهم المعزول محمد مرسى. لكن شباب الثورة اعترضوا ، وإن بعزوف عن المشاركة فى الانتخابات الرئاسية. المشير عبد الفتاح السيسى تحدث فى لقاءاته التلفزيونية المسجلة عن تحقيق الأمن والاستقرار دون أن يعد بمنظومة حقوق تحترم الحريات العامة ، من أهمها حرية الرأى والتعبير والحق فى التظاهر ، كما دافع عن قانون التظاهر الجديد الذى أصدرته الحكومة المصرية نهاية العام الماضى. وهذا ما اعتبره الكثيرون تراجعاً للسيسى ، الذى يعتبره البعض قائدا لثورة الثلاثين من يونيو ضد الإخوان المسلمين ، عن أهم شعارات ثورة ٢٥ يناير المتمثل فى الحرية.

من الناحية الاقتصادية يعتمد مشروع الرئيس القادم عبد الفتاح السيسى على سياسة تقشف تمس الفقراء من الشعب المصرى ، حسب انتقادات معارضيه. وهو ما يعتبره العديدون تراجعاً عن شعار آخر لثورة ٢٥ يناير وهو تحقيق العدالة الاجتماعية.

الداخل يختلف.

ويبدو أن هناك اختلافا فى التوقيت والرؤى بين الخارج والداخل حيث سادت موجة من التفاؤل والثقة فى المستقبل بعد نجاح السيسى.

ووجه محمد عطية عضو المكتب السياسى لتكتل القوى الثورية ، التحية للشعب المصرى ومن أدلى بصوته ، وشارك فى الانتخابات ، مشيراً إلى أن اكتساح المشير عبد الفتاح السيسى إعلان شهادة وفاة رسمية للإخوان المسلمين ، كما وجه الشكر لحمدين صباحى واستمراره برغم الضغوط التى تعرض لها ، واعتبر أن ذلك موقف وطنى يحسب له.

من ناحيته ، قالت ماجريت عازر البرلمانية السابقة: إن نجاح المشير عبد الفتاح السيسى متوقع منذ أن استدعاه الشارع المصرى ووجد فيه الأمل والسبيل الوحيد للتخلص من الإرهاب ، وبالتالي نجاحه كان مضمونا وينسب عالية ، وأوضحت أن السيسى لمبى رغبة المصريين بخوضه الانتخابات ورد عليه الشعب بنسب تصويتية مرتفعة.

وأكدت، أنه مع وجود المشير انقضى الفكر الإخواني، مشيرة إلى أن السيسي مع أول يوم له فى القصر الرئاسى عليه مهام كثيرة ينجزها والشعب المصرى ينتظر منه الكثير والمشير يدرك ذلك جيدا، ومن ثم سيحاول تلبية أحلام المصريين فى وجود دستور وبرلمان معبران عن الشارع المصرى.

أما محمد أبو حامد عضو مجلس الشعب السابق، فأكد أن الشعب المصرى كان واضحا فى توجهاته منذ ثورة ٣٠ يونيو، وانتخب وأيد من أنقذ مصر وبدأ المهمة وأيضا اختار من لديه القدرة على تحقيق طموحات المصريين، مشيرا إلى أن نجاح السيسي ليس مفاجأة بعد الدعم والحشد الشعبى لصالحه، وأكد أن المشير لا وقت لديه للكلام، وأنه بدأ منذ إعلان ترشحه العمل على تحقيق مطالب المصريين، فالشعب فى انتظار من يلبي مطالبه، وأوضح أبو حامد أنه لا وجود لكل خارج عن القانون فى زمن المشير ومصر، ومصر فقط مفتوحة لمن يحترم شعبها إذا أراد التواجد فى العمل العام فى ظل القانون والدستور وهذا أمر حاسم بالنسبة للشعب.

وقال توحيد البنهاوى أمين عام الحزب الناصرى: إن ما حدث على مدار الأيام الثلاثة للانتخابات الرئاسية، تأكيد لما سبق أن قام به الشعب فى ٣٠ يونيو، فالشعب استدعى المشير لقيادة مصر والعبور بها حتى نستطيع وضع أساس بناء الدولة المدنية الديمقراطية الحديثة، ومن ثم تخطت مصر الخطة الثانية من خارطة المستقبل وفى انتظار استكمالها بإجراء الانتخابات البرلمانية.

وفى حوار نشره الأهرام بقلم إبراهيم السخاوى بعد أقل من أسبوعين على تسلم السيسي لمهام منصبه.. وذلك مع المفكر المصرى العالمى سمير أمين وهو المولود لأب مصرى وأم فرنسية والحاصل على شهادة الدكتوراة فى الاقتصاد من السوربون فى فرنسا.. وانتسب إلى الحزب الشيوعى هناك وعمل مديرا لمعهد الأمم المتحدة للتخطيط الاقتصادى وله العديد من المؤلفات العالمية.

فى الحوار قال أمين إن رأسمالية المحاسب كارثة الاقتصاد فى مصر.. والثورة لم تسقط النظام بقدر ما غيرت الشعب والتاريخ لا يعيد نفسه ونصح نظام السيسي باستغلال انشغال الغرب بمشاكله لتحقيق نهضة حقيقية.. وفى سؤال حول تصوره لمهمة السيسي كرئيس قال أمين فى وجهة نظر تجمع بين الداخلى والخارج كمصرى وأزبى: الشعب الذى اسقط نظامين

أثبت أنه قادر على الحركة والفعل ولكن كان ينقص الحركات الثورية والقوى السياسية أن يكون لها مشروع مشترك وأهداف واضحة محددة ومتفق عليها.. وغياب هذه الرؤية وبالتالي غياب السياسة أعطى للجيش الذى حمى الشعب فى ثورتين أن يرث هذا الانتصار الشعبى وكان السيسى نابها عندما انحاز للشعب المصرى وارتبط بإرادة المصريين والشعب الذى أدرك أن الإخوان أسوأ من أى نظام حكم.. والمطلوب الآن الخروج من الليبرالية الغير مقيدة ومن أسر الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها وإذا فعل السيسى هذا سيكون قد نجح حيث إن الظروف المحلية والإقليمية والدولية مهيأة الآن لأن أمريكا والغرب فى مرحلة أفول^(١) وإمريكا قوة عسكرية كبرى لكنها لا تستطيع أن تحارب العالم كله وهناك فى الداخل انتقاضات ضد سياسة التقشف وزيادة معدلات البطالة وتدهور المعيشة إلى حد كبير وأرى إنه يمكن للسيسى أن يستخدم هذا الهامش لتحقيق تطلعات الشعب نحو الاستقلال الوطنى والاكتفاء الذاتى وعمل مشروعات تنموية عملاقة وتحقيق مطالب العمال والفلاحين وإعادة الطبقة الوسطى للقيام بدورها بالإضافة للشق الخدمى وزيادة معدلات النمو ولا بد أن تكون التجربة الجديدة فى إعادة بناء منظومة إنتاجية مستقلة وشعبية فى إطار ديمقراطى.. وما ذكره المفكر العالمى سمير أمين حول غياب شمس أمريكا.. سبق وأن أعلنه كاتب هذه السطور فى كتاب أصدره عام ٢٠٠٩م بعنوان "عالم جديد".

ومنذ الإعلان الرسمى عن فوز السيسى ودخوله قصر الاتحادية كان واضحا أن تغييرات عديدة سوف تشهدها المنطقة التى كانت عرضة وماتزال لمخطط تقسيم جديد.. ظهرت معاملة فى اليمن والسودان وليبيا والعراق وامتد ذلك إلى سوريا وتونس.. وكان معروفا أن الهياج الأمريكى ضد ثورة ٣٠ يونيو ليس تعاطفا مع الإخوان.. لكن لسقوط المخطط الذى بشرت به كوندليزا رايس وزيرة الخارجية الأسبق.. وكان الجيش المصرى بقوته وجاهزيته هو الرقم الصلب الحقيقى فى تلك المعادلة.. وبعد أن فشلت محاولات فك الارتباط الوثيق بين شعب مصر وجيشه.. بالاعتماد على الطابور الخامس الذى تم تدريبه فى صربيا وبرعاية أمريكية قطرية.. وبالتعاون مع الجماعة الإرهابية الإخوانية التى تبنت شعار يسقط حكم العسكر.

(١) «شهادة وفاة دولة.. باى باى أمريكا» وكان سباقا فى التنبؤ بسقوط أمريكا بعد الأزمة المالية الطاحنة التى

تعرضت لها..

«فلاش باك»

عندما كان السيسي وزيراً للدفاع وقبل أن يحصل على رتبة المشير.. التقى مع قيادات الجيش المصري بعد أسابيع قليلة من ثورة ٣٠ يونيه.. ومن الواجب العودة إلى هذا الحديث تحديداً لأنه يكشف الكثير من شخصية الرجل وثوابته والمبادئ التي لا يفرط فيها رجل الجيش الذي يعرف جيداً كيف يدير عجلة المسيرة.. ولأن عنوان الكلمة التي قالها السيسي على رجاله «مصر عند مفترق الطرق» كان ضرورياً ونحن نقارن بين ما كان وبين ما هو كائن وما سيكون.. أن نضع أيدينا على الكثير من الجوانب ونرسم صورة المستقبل من خلال الحاضر والماضي.. حيث قال السيسي للشعب كله لكن بلسان الجيش: ليس هناك من يملك وصاية على المواطنين أو يملأ عليهم أو يفرض مساراً أو فكراً لا يرتضونه بتجربتهم الإنسانية والحضارية، واستيعابهم للدور التاريخي الذي قام به وظنهم عبر العصور، وإسهامه الحي والحيوي في حركة التقدم، برغم كل العوائق والمطامع والمشاق والصعوبات التي قابلته واعترضت طريقه، وحاولت تعطيله.

أشار إلى أن القوات المسلحة المصرية بكل أفرادها وقياداتها وبلا تحفظ لا بد أن تكون في خدمة الشعب والتمكين لإرادته الحرة لكي يقرر ما يرى، لأن إرادته هي الحكمة الجماعية لعلاقته مع نفسه ومحيطه وعالمه وعصره، وأن القوات المسلحة المصرية عرفت وتأكدت وتصرفت تحت أمر الشعب وليست آمرة عليه، وفي خدمته وليست بعيدة عنه، وأنها تتلقى منه ولا تملأ عليه.

إذا كانت الظروف قد فرضت على القوات المسلحة أن تقترب من العملية السياسية، فإنها فعلت ذلك لأن الشعب استدعاها وطلبها لمهمة أدرك، بحسه وفكره وبواقع الأحوال، أن جيشه هو من يستطيع تعديل موازين مالت وحقائق غابت ومقاصد انحرفت، والقيادة العامة للقوات المسلحة لم تسع إلى هذه المهمة، ولا طلبتها، وكانت ولا تزال، وسوف تظل وفية لعقائدها ومبادئها مع شعبها، ملتزمة بدورها لا تتعداه ولا تتخطاه، فمكان القوات المسلحة في العالم الحديث واضح وجلي، وليس من حق أي طرف أن يدخل به إلى تعقيدات لا تتحملها طبائعه.

القوات المسلحة ومنذ الإشارة الأولى لثورة يناير ٢٠١١م عرفت مكانها، والتزمت بحدوده، برغم أن المشهد السياسي كله كان شديد الارتباك، سواء بسبب ما وقع للوطن

فى سنوات ما قبل الثورة أو ما صاحب الثورة نفسها من مناخ الحيرة والاضطراب، مما وقع للثورات فى أوطان أخرى وفى أزمنة بعيدة وقريبة، وكانت ظواهر ذلك المناخ مفهومة ومقبولة. كما أن تفاعلاتها وإن بدت متجاوزة فى بعض الأحيان، إلا أنها كانت تدعو إلى القلق والحذر فى نفس الوقت، لكن الحقائق لم تكن ممكنة التجاهل، وأهمها أن الاقتصاد المصرى سواء بالمطامع أو بسوء الإدارة أو بعدم تقدير حقوق أجيال قادمة وصل إلى حالة من التردى تنذر بالخطر، وفى ذات اللحظة فإن الأحوال الاجتماعية والمعيشية لغالبية الشعب تعرضت لظلم فادح، بحيث وقعت توترات مجتمعية صاحبها سوء تقدير وسوء تصرف وسوء قرار، وقد تعثرت نوايا الإصلاح لأسباب متعددة ثم جرى أن المستوى الفكرى والثقافى والفنى الذى أعطى لمصر قوة النموذج فى عالمها تأثر، وتراجعت مكانتها فى إقليمها، وتراجع بالتالى دورها فى مجتمع الدول.

لست أريد أن أتوقف طويلا أمام الماضى، وأوثر أن أقارب الحاضر والمستقبل؛ لأن ذلك ما نستطيع أن نختار فيه ونتصرف على أساسه بما يريده الشعب وما يطلبه، وهنا فإن قوى هذا الشعب كافة، تقف الآن عند مفترق طرق. لقد ثارت قوى الشعب فى يناير ٢٠١١م ثم وجدت أن ما وصلت إليه الثورة لا يتناسب مع ما قصدته وسعت نحوه، وفى أبسط الأحوال اعتبرت أن آمالها أحبطت وأن مقاصدها انحرفت، وأن رؤاها للمستقبل نزلت عليها عتمة وظلمة لا تقبلها طبائع عصور التنوير والمعرفة والكفاءة.

وفى كل هذه الأحوال فإن القوات المسلحة كانت تتابع موزعة بين اعتبارين، الأول اعتبار دورها الذى قبلته وارتضته والتزمت به، وهو البعد عن السياسة، والثانى اعتبار القرب من المسئولية الوطنية، سواء بالمبدأ أو بخشية أن تفاجئها ضرورات القرار السياسى فى يد من يملك السلطة، يكلفها بمهام لا تتوافق مع ولائها لشعبها وحقه وحده فى توجيهها وتحديد موقعها.

وعندما وقعت انتخابات رئاسة الجمهورية الأخيرة وجاءت إلى السلطة بفصيل سياسى وبرئيس يمثلها، فإن القوات المسلحة رضيت مخلصا بما ارتضاه الشعب، مخلصا، ثم راح القرار السياسى يتعثر، واعتبرت القوات المسلحة أن أى تصويب أو تعديل ليس له إلا مصدر واحد وهو شرعية الشعب لأنه من يملك هذا القرار.

وبرغم ذلك فإن القوات المسلحة ممثلة فى قيادتها وجدت أن عليها واجب النصيحة تقدمها بمقتضيات الأمانة الوطنية ، وقد فعلت ، ولست أرى أن أكرر عدد المرات التى أبدت فيها قيادة القوات المسلحة رأيها فى بعض السياسات وفى كثير من القرارات ، ولست أريد أن أعدد المناسبات التى أبدت فيها تحفظها على الكثير من التصرفات والإجراءات مما فوجئت به .

□□□